الى الملك ثاودوسيوس الكبير. والامر ممكنٌ الّا ان النصوص التاريخيّة لا تفيدنا في ذلك علماً. وعلى رأينا ان ثاودوسيوس منشئ هذا الدير ليس هو القيصر الشهير بهذا الاسم بل احد كبار اباء الطريقة النسكيّة. وقد عُرف بهذا الاسم في ذلك العهد رجلان عظيمان تكرمهما الكنيسة بين اولياء الله. احدهما ثاودوسيوس الانطاكي انشأ في قيليقية ديرًا كبيرًا والآخر اصلهُ من قپادوقية اشتهر في فلسطين وابتنى ديرًا واسعاً تقاطر اليهِ الرهبان من كل فجٍّ وأوب كان بينهم يونان وارمن وصقالبة. ولا جرم بانَّ السوريين واللبنانيين تتلمذوا لهُ ايضاً. وكان ثاودوسيوس المذكور قسّمهم اقساماً على حسب اصلهم ليسبّحوا الله في لغاتهم المختلفة وساسهم الى ان توفّي في اوائل القرن السادس ولهُ من العمر ١٠٥ سنين. ومن اطلع على ترجمة هذا القديس لا يرى فيها صريحاً انهُ قدم لبنان ولعلّهُ زار هذا الجبل في رحلتهِ الى مقام سمعان العمودي (١. ولكننا نعلم من تاريخهِ انَّ تلامذتهُ انشأوا اديرةً عديدة في انحاء شتّى. فلا نزال نتجاوز حدود الحق ان قلنا عن احدهم انهُ احتلّ قُوبين فأسّس فيها ديرًا نسبهُ الناس بعدهُ الى القديس ثاودوسيوس استاذهِ ثمَّ اشتبه الاسم على الخلف فظنّوا انَّ المنشئ هو ثاودوسيوس الكبير الذي اشتهر بتقواه وتذكرهُ الكنيسة اليونانيّة في عداد قديسيها. وما يؤيد هذا الرأي اننا نرى الطائفة المارونيّة تكرم ثاودوسيوس ابا الرهبان اكراماً خصوصيًّا وتعدّهُ بين مشاهير النسّاك (٢. وهذا لعمري شاهد واضح على انَّ اسمهُ كان ذائعاً في لبنان (ستأتي البقيّة)

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

وكانت قد مُدّت في وسط الغرفة التي دخلها المقدّم مائدة الطعام وعليها ألوان واشكال من اللحوم بينها قناني الخمر المعتقة وقد جلس حولها عدد من الرجال والنساء يتهتهون ويتطقون بالاحاديث الغير المهذبة

١) راجع اعمال البولنديين في تاريخ ١٦ كانون الثاني (ص ٦٨٠)

٢) راجع تاريخ الطائفة المارونية للدوحي (ص ٣٢)

على ان جوسلين لمَّا شاهد المقدَّم قد دخل عليهِ في هـذه الحالة من الافراط في المأكل والشراب وغمَّا عن ايام الصيام الكبير التي يجب ان ينقطع فيها المسيحيون لاماتة الحواس اراد ان يعتذر فصدَّهُ الرجل المجهول باشارة منهُ وقال:

أبيت ان تذهب الى بشرَّاي فتبرئ نفسك من الشكاري المرفوعة عليك فجئتُ انا بنفسي لانظر في الامر ولكني اقسم لك انك لن تكون مسروراً من تنازلي للحضور اليك

فقال جوسلين وهو يتلعثم في الكلام: لا انكر سيدي اني قد قصَّرتُ وتهاملت ولكن الشؤون والاعمال الكثيرة حالت دون رغبتي. وانت تعلم ان ناحيتنا هذه قائمة في اطراف البلاد ومكتنفة من كل الجهات بالاعداء فلم يكن يسهل عليَّ مفارقة قصري دون التعرض للاخطار. ولولا وجودي في هذه الظروف والاحوال لكنتُ بادرت من زمان مديد الى بشرَّاي تقديماً لواجبات خضوعي واخلاصي وقدَّمت بسهولة كل ما عزاهُ الوشاة اليَّ من الشكاري والتهم واوضحت براءتي منها لسيدي المقدم ولكن البعدُ جفا والبعيد دائماً متَّهم

فاجاب المقدَّم رزق الله قائلاً: اني عالم بان الشكاري المرفوعة عليك هي كلها اكيدة. فضلاً عن كونك أفسد وارداً رجل مسيحي وصفوهُ لي قد تصدَّيتَ للايتام والارامل وسلبتهم املاكهم وما اكتفيت بهذا حتى تعرَّضت لاوقاف الكنائس والاديار فغصبتها جوراً وظلماً

فاراد جوسلين ان ينكر ذلك لكن الاب يوحنَّا الذي كان في صحبة المقدم افحمهُ باظهار الحقيقة فلم يستطع الَّا ان يقول: أردُّ كلَّ شيء... امَّا املاك دير القديسة تقلا فكنت اظنها غير ثابتة للدير بصكوك قانونيَّة فغالطتُ وها انا الآن اعوِّض عن غلطي وأرجع للدير املاكها...

— يا لك من كذوب. ألم تعتدِ من مدَّة قريبة على شاب مسكين وسلبهُ حقله. او ما تعلم اي شيء من القصاص تفرضهُ شرائعنا على مثل هذا الاعتداء؟ .والآن أحضر الصبيَّة اليتيمة التي زججتها في سجنك عدواناً

فهنا صرخ جوسلين وهو يرتعش قائلاً: اعلم يا سيدي انها قد ارتكبت جرماً كبيراً... قطعت حطباً من أحراجي

— اذا كانت قد فعلت ذلك فانهُ ذنبٌ لا يستوجب سجناً . وغاية ما يترتب على فاعله جزاء نقدي . ومع ذلك أحضرها لنستنطقها . ألم تعلم اني في الاجتماع الاخير بمدينة بشراي قد قررتُ اخذ جميع الايتام تحت حمايتي

— لم أكن عارفاً بشيء من هذا لاني لم اقدر على حضور الاجتماع المذكور

— كفّ عن الكذب والخداع فلسوف تعلم اليوم ان العدل ينال الكل . اسرع اذاً بانفاذ اوامري

ولمّا رأى خدَم جوسلين اضطراب سيدهم علموا اخيراً ان الغريب الذي دخل عليه هو المقدم رزق الله المشهورة صولتهُ وعدالتهُ وبادروا في الحال فاحضروا الصبيّة وكانت صفراء اللون ممتقعة الوجه دامعة العين . فلمّا وقع بصرها على الاب يوحنا اشرقت على وجهها امائر الفرح واستبشرت بالنجاة : والتفت اليها الامير فرآها بارعة في الجمال كثيرة الادب والحياء . فقال لها : تكلمي يا ابنتي بلا خوف فقد صرت حرة وسنصفك ونسلمك الى من تحبينهُ

وهنا قطع جوسلين كلام المقدم وقال : كنت مزمعاً ان أخلي سبيلها . . .

فقالت الصبية : صدق يا مولاي لكنهُ عرض عليّ شروطاً . . .

— وما هي الشروط التي طلبها هذا الظالم حتى يفرج عنك ؟

فحينئذٍ التحف وجه الصبيّة بالاحمرار فخفضت بصرها وبعد ان تردّدت هنيهةً اجابت قائلةً : لا اجسر على بيان الشروط التي تطلب ايضاحها

— اذا كانت هذه الشروط اثيمةً فما هو جوابك عليها ؟ قال هذا مخاطباً جوسلين ولكن جوسلين خرَّ على ركبتيه وقد عمي بصرهُ وحلَّ به من الخوف ما لا يوصف وقال :

— لا تعاقب ضعفاً بشريّاً ايها الامير فاني متأهب لكل تعويض تفرضهُ

— نعم انهُ لا بدَّ من التعويض وها انا ارشدك الى الوجه اللازم فاصغَ اليَّ : بما انهُ ليس لك اولاد يرثونك تقيم هذه الصبية وريثة لك فتوصي لها بكل احراجك وسائر املاكك في موقع التبي شيت . أدخلوا كاتب القصر الى هنا

وفي الحال أحضر الكاتب فكتب صكاً قانونياً مستجمعاً لكل الشروط فوقّعهُ جوسلين وشهد عليهِ المقدم رزق الله والاب يوحنا ثم دفع الصك الى الصبيّة التي اصابتها الحيرة من هذا الحادث الغير المنتظر . وفي الحال سالت دموعها على وجنتيها وبادرت

الى يدي المقدم رزق الله لتقبلهما فقال لها: هـذا هو التعويض الذي حكم العدل باعطائك اياهُ

وما كاد يتمّ هذه العبـارة حتى اخرج من تحت عباءته حبلًا قويًا وقال مخاطبًا جوسلين :

اذا كان هذا الحبـل لا يضع اليوم حدًا لحياتك الاثيمة فان ذلك بفضل الاب يوحنا هذا الرجل البار القديس الذي شفع بك مع كونك اضطهدتهُ واراد ان يراقني الى هنا حتى يتأكّد صفحي عنك فسى ان لا يشـدم على هذه المكرمة التي لا تستحقها انت

ولمّا كان الحاضرون يرتجفون خوفًا ورعدة من هذه الكلمات وقد كاد الدم يجمد في عروقهم خرج المقدّم رزق الله من الغرفـة فركب حصانهُ ولحق به الاب يوحنا وغاب كلاهما عن الابصـار وراء الصخور التي كانت تحجب الطريق المؤدية الى القصر بينما كلّ الذين حضروا المشهد كانوا مقيمين في اماكنهم كأنهم تسمّروا بها تسميرًا

١٢

وكان بعد مرور بضعة اسابيع ان الزروع في سهول البلاد واعاليهـا أخذت تصفرُ متهيئةً للحصاد. اما اهالي لبنان فكانوا جميعًا جذلين ومحبورين بحكومة المقدّم الجديد ومساعيهِ في تعميم العدل على الرفيع والوضيع والغني والفقير وكان الاجتماع الذي عقده في قصره قد بدأ وقتئذٍ بان يُعطي ثمراته. غير ان تلك الحال لم يكن ممكنًا دوامهـا طويلًا لان الانسان لا يقدر ان يقوّم في شهر أودًا استمرّ قرونًا وادهـارًا. فكان انهُ لما عاد المقدّم رزق الله من جبل اللكام الى مقرّ ولايته اجبرتهُ الظروف على قتـال بعض اعداء ملّتـهِ الذين هبّ لنجدتهم جم غفير من اوباش الناس المقيمين في بلاد بعلبك (١

اما جوسلين فعندما عرف الخبر ورأى ان الحرب قد شغلت مولاهُ عن الاهتمام بامور الحكومة عمـد ان يعود بالحيلة الى ما كان قد اجبرهُ الخوف على تركهِ. فجمع بعضًا من الرهبان اليعاقبة الذين ابعدهم المقدم رزق الله عن لبنان وادخلهم في حمايته مثل موسى بن عطية والقس نوح البقوفاوي الذي كان قبلًا مقيمًا بالفريديس في ارض

١) اخبار الاعيان ١٦٦

بان وعيسى وابن شعبان من قرية حردين وموسى واخيه يوحنا ولدي ابرهيم ابن الحاج موسى البقوفاوي وبرجس من حلفد وموسى من قرية موسى وغيرهم ممن وهبهم ديوسقورس الاسقف اليعقوبي (٢

ولم يحمل جوسلين على ذلك لا تعصُّب ديني ولا اقتناع بصحة البدعة اليعقوبية لانهُ لم يكن يهتم الّا بصوالحهِ ومنافعه الخصوصية بل اراد ان يستخدمهم في غاياتهِ الفاسدة لعلَّهُ يستطيع يوماً ان يدرك بواسطتهم ثاره من رئيس دير القديسة تقلا. ولما كان المذكورون يعلمون ان ابعادهم من لبنان كان خصوصاً بتحريضات الرئيس الموما اليهِ لم يكن من الموجب لحثهم على معاونة جوسلين لانهم بقضاء وطره يدركون هم ايضاً مأربهم

ولذلك كان جوسلين يقول انهُ اذا قدر على شفاء غليله من الاب يوحنا يملّكهم دير حصن سليمان فكان طمعهم في امتلاك هذا الدير الغني مع بغضتهم للديانة الكاثوليكية ورغبتهم في اخذ الثار يدفعهم الى اختراع كل الوسائل الممكنة لاهلاك هذا الرجل القديس

وكان اصعب شيء لديهم ان يجدوا سبباً واضحاً يسوّغ لهم في الظاهر اتزال الانتقام بين ابغضوه لانهم ما كانوا يريدون فقط ان يميتوا ضحيتهم بل ان يشتموا صيتها وسمتها ايضاً

وفي ذات يوم وقد انتصف النهار وجلس جوسلين في الردهة الكبرى من قصر القليعات يحفُّ بهِ الرهبان اليعاقبة السابق ذكرهم أُدخل اليهِ الاب يوحنا مكتوفاً مهاناً وكان قد ارسل رجاله الى الدير فاتوا بهِ عنوة لاجل محاكمتهِ امام قضاة جائرين لا يريدون حقًّا بل انتقاماً يلبسونهُ ظاهر الحق. وكان في الدير راهب من الاخوة اسمهُ جناديوس قد تضايق من القوانين الرهبانيَّة التي كان الرئيس يحافظ عليها كثيرًا. فهذا أغراه جوسلين بالمال والوعود الحسنة فأخذ يتهم الاب يوحنا انهُ كان يتظاهر كذبًا ونفاقاً بالاصوام والصلوات والامانات ويعيش في السرّ عيشة شهوانيَّة فاسدة. ثم اتهمهُ بانهُ رئيس ظالم يعامل مرؤوسيه بالقساوة ولا يعرف الشفقة على الفقراء وغاية ما يهتمّ بهِ حشد الاموال توسيعاً لدائرة املاكه

٢) الدوجي ١٦١

وكان في وسع الاب يوحنا ان يريهم لثتهُ البيضاء ويستشهد على حسن سيرته بجميع اخوانه الرهبان وسائر اهالي الناحية. وكان يستطيع ايضاً ان يُخجل الراهب جناديوس ببيان رذائله وعيوبه ويذكره بالمسامحات المتواترة التي تعطّف بها عليه ويطلب منهُ ان يدل على الاموال التي حشدها. وكان في الحقيقة قد انفقها كلها على الفقراء غير انهُ أبى ان يقول شيئاً من ذلك بل فضل السكوت والصمت تشبُّهاً بمعلمه الالهي لمَّا وقف امام هيرودس. واخيراً لمَّا الحَّ عليهِ قضاة الظلم ان يحتجَّ عن نفسهِ قال هكذا :

اني قد اقترفت خطايا كثيرة ولكني في الحقيقة لم آتِ شيئاً مما شكيت بهِ

فقال القضاة : أتقرّ اذاً بجريمتك وتعترف بعجزك عن رد التهم المنسوبة اليك ؟

— لا ازيد شيئاً على ما قلتهُ فافعلوا بي ما بدا لكم

وفي الحقيقة لم يكن ليجديهُ الدفاع نفعاً لانهُ لم يكن قادراً على ان يُحضر الى تلك المحكمة الظالمة شهوداً يبرئونهُ لا الفقراء الذين اسعفهم بالسرّ ونشلهم من وهدة الحاجة ولا المرضى الذين شفاهم ولا الاموات الذين دفنهم ولا مرؤوسيهِ الرهبان الذين يعرفون طويته وتقواه وقداسته امام الله تعالى. وفضلاً عن ذلك فقد كان عارفاً بان قضاتهُ مصمّمون على الحكم عليهِ فمحاولة الدفاع عن نفسه عبارة عن اهتمام باسر لا طائل تحته. اما تلك المحكمة فانها حكمت باتفاق الآراء بجريمته واسقاطه من مقام الرئاسة والقضاء عليهِ بالسجن المؤبد

وكان على مسافة ثلاث ساعات من شرقي قلعة مصياد مركز صولة الشيعة الاسماعيلية كنيسة قديمة مشيدة على سطح الجبل. ولم يبقَ اليوم منها سوى حيطانها الخارجية مع قسم من الدهليز لان القبة قد انقضَّت والعمد انقلبت فامتلأ من حطامها صحن الكنيسة حيث نبتت بعض اشجار من التين والدوالي البرّية والسنديان وغير ذلك

وكان على شمال الكنيسة سلسلة من البيوت الصغيرة بُنيت كلها على هندسة واحدة اي ان العتبات العليا مع اللابن كانت جميعها من حجر واحد وقد نقش على كل عتبة في ضمن دائرة رسم صليب. وكل بيت من هذه البيوت لا يدخلهُ الهواء ولا النور الّا من نافذة صغيرة في اعلاه ومجموع هذه الحرب يدعى دير الصُّلَيب (١). والحق يُقال انهُ

(١) مجلة الشرق المسيحي ١٩٠٠

كان ديرًا او مجموعةً من الثلالي يرتقي تاريخها الى العهد البيزنطي. امَّا الكنيسة التي كانت قائمةً في القرن الخامس عشر فانها كانت قد أهملت قبل هذا التاريخ بزمان كما ان الرهبان لمَّا رأوا نفوسهم معرضين كل ساعة لغزوات البدو والشيعة الاسماعليَّة هجروا قلاليهم التي ما عادت تصلح بعدهم الَّا ملاجئ لرعاة الماشية وقت الامطار

فالى هذا المكان الذي تقدَّم وصفهُ نقل جوسلين الاب يوحنا رئيس دير القديسة تقلا موقتًا ان لم يمت جوعًا لا بد ان يموت بايدي البدو وهكذا يخلص منهُ

واقام الاب يوحنا هناك ايامًا عديدة لا يقتات بغير الثمار من التين يقطفها من الاشجار التي كان الرهبان القدماء قد غرسوها في دير الصُّليب. وكان من وقتٍ الى آخر يأتيه بعض الرعاة الذين في جيرة المحل برغيف من الخبز وكأس من اللبن لانهُ كان يشفق عليهِ اذ يراه شيخًا كبيرًا اصفر اللون ناحل الجسم. غير ان ذلك لم يكن يجري الَّا نادرًا لان جوسلين كان اوصى التركمان المقيمين في مزرعة الحمام القريبة من هناك ان يحافظوا على عدم مخالطة الشيخ المنفي لاحد. وقد قاموا بما اوصاهم بهِ حق القيام ولولا اعتياد الاب يوحنا الاصوام الطويلة لكان مات جوعًا (ستأتي البقيَّة)

عيد البشارة

نبذة في قدم هذا العيد وبعض ما يلحق بهِ

لحضرة الاب الفاضل المحوري ابراهيم حرفوش من مرسلي الكرم

لقد تفرَّد القديس لوقا بين الانجيليين بوضوح العبارة في كلامهِ على سرّ البشارة ولذا جزم المفسّرون بانهُ تلقَّى عن مريم البتول نفسها تفاصيل ظروف هذه المعجزة التي تفوق طور العقول. وليس من غرضنا الآن ان نأتي بشرح وافٍ عمَّا يختصّ بهذه العقيدة بل جلُّ قصدنا من هذه المقالة ان نبحث تاريخيًّا عن قدم هذا العيد في الكنيستين الشرقيَّة والغربيَّة ثم عن يوم الاحتفال بهِ والمكان الذي تمَّ فيهِ سرّ البشارة

١ قدم هذا العيد

ذهب البولنديُّون ورافقهم البابا بناديكتوس الرابع عشر على ان هذا العيد يرتقي الى ايَّام الرسل ولكن هذا القول ردَّهُ بعض من العلماء واستصعبوا الجزم بهِ لزعمهم ان